

رسالة

قداسة البابا يوحنا بولس الثاني

بمناسبة الاحتفال بيوم السلام العالمي

أول كانون الثاني (يناير) ٢٠٠٣

المطبعة الفاتيكانية  
حاضرة الفاتيكان

## السلام في الأرض:

### التزام مستديم

١. لقد مضى أربعون عاما تقريبا على صدور رسالة البابا يوحنا الثالث والعشرين "السلام في الأرض" في الحادي عشر من أبريل ١٩٦٣ في ذكرى خميس الأسرار. وإذ توجه إلى جميع "البشر ذوي الإرادة الطيبة" لخص سلفي، الذي توفي بعد شهرين من هذا التاريخ، رسالة السلام إلى العالم بقوله: "في الاحترام التام لتدبير الله يقوم السلام في الأرض، تطلع جميع الكائنات البشرية في مختلف الأزمنة" (السلام في الأرض، رقم ٢٥٧).

### الكلام عن السلام لعالم منقسم

٢. في الواقع، كان العالم الذي توجه إليه البابا يوحنا الثالث والعشرون في حالة فوضى. فقد بدأ القرن العشرون بانتظار الرقي في ما شهدت الإنسانية خلال ستين سنة من تاريخها اندلاع حربين عالميتين وظهور أنظمة توتالية مدمرة وازدياد آلام البشر وتفجر اضطهاد لا سابق له بحق الكنيسة.

قبل سنتين على صدور الرسالة "السلام في الأرض"، أي عام ١٩٦١، شيد "جدار برلين" فقسم شطري المدينة وزرع الانشقاق عائقا

بين نظرتين لإدراك وبناء "مدينة الأرض". من هذا الطرف وذاك من الجدار اكتسبت الحياة نمطا مختلفا مستوحى من قواعد متضاربة في ما بينها في جو مشحون بالشك وعدم الثقة. لقد عبر ذاك الجدار البشرية بأسرها وفرض نفسه نموذجا للعالم وولج قلب الشخص وعقله فولد انقسامات بدت وكأنها طويلة عبر الزمن.

قبل ستة أشهر على صدور الرسالة ومع افتتاح المجمع الفاتيكاني الثاني بروما وجد العالم نفسه، بسبب أزمة الصواريخ في كوبا، على هاوية حرب نووية وبدا مسدودا الطريق نحو عالم يسوده السلام والعدالة والحرية. ظن الكثيرون أن البشرية محكوم عليها بالعيش لمدة طويلة في أوضاع "الحرب الباردة" الخاضعة باستمرار لكابوس أن يفجر عدوان أو حادث ما بين ليلة وضحاها أسوأ حرب في تاريخ الإنسانية. في الواقع كان استخدام الأسلحة الذرية ليحول العالم إلى نزاع يعرض للخطر مستقبل البشرية.

### الركائز الأربع للسلام

٣. لم يتفق البابا يوحنا الثالث والعشرون مع من اعتقد أن السلام مستحيل. لقد استطاع من خلال الرسالة العامة أن يجعل من هذه القيمة الأساسية، أي السلام بحقيقته الملحة، يدق على جانبي ذاك الجدار وجميع الجدران. تحدثت الرسالة إلى كل فرد عن الانتماء المشترك للأسرة البشرية وأضاءت نورا لتطلعات جميع البشر نحو العيش في الأمن والعدالة والرجاء بالمستقبل.

لقد حدد البابا يوحنا الثالث والعشرون عوامل السلام الأساسية في أربعة متطلبات للروح البشرية: الحقيقة، العدالة، المحبة والحرية. وقال إن الحقيقة ستكون أساس السلام إذا ما أدرك كل فرد بصدق واجباته نحو الآخرين إلى جانب حقوقه الذاتية. العدالة ستبني السلام إذا ما احترم كل واحد حقوق الآخرين وجهد لإتمام واجباته تجاههم. المحبة ستكون خمير السلام إذا ما شعر الناس بحاجات الآخرين وقاسموهم ما يملكون بدءا من القيم الروحية. الحرية أخيرا ستغذي السلام وتجعله يأتي بثمار إذا ما اتبع الأفراد، في اختيار الوسائل لتحقيقه، منهجا عقلانيا وتحملوا مسؤولياتهم الشخصية.

إن الطوباوي يوحنا الثالث والعشرين، إذ نظر إلى الحاضر والمستقبل بأعين الإيمان والعقل، إنما استدرك علامات التبدل العميقة في التاريخ وفسرها. كان يعرف أن الأمور لا تظهر دائما على حقيقتها وعلى الرغم من الحروب والتهديدات باندلاع نزاعات بدا في الأفق تدخل في الأحداث الإنسانية رأى فيه البابا بداية ثورة روحية.

### ضمير جديد لكرامة الإنسان وحقوقه الأساسية

٤. لقد دخلت الإنسانية، كتب البابا يوحنا الثالث والعشرون، مرحلة جديدة من مسيرتها (السلام في الأرض، ٢٦٧ — ٢٦٩). نهاية الاستعمار، ولادة دول جديدة مستقلة، الدفاع عن حقوق العمال، حضور النساء في الحياة العامة، بدت له علامات لإنسانية على وشك دخول مرحلة جديدة في تاريخها، مرحلة اتسمت "بالاقتناع بأن البشر

متساوون بدافع كرامتهم الطبيعية" (السلام في الأرض، ٢٦٨). ما من شك أن هذه الكرامة لا تزال تدارس في أنحاء عديدة من العالم. والبابا لم يتجاهل هذا الأمر بل كان مقتنعا أنه على الرغم من كون الأوضاع مأسوية من بعض النواحي فإن العالم أضحى أكثر وعيا لبعض القيم الروحية وأشد انفتاحا على غنى مضامين "ركائز السلام" أي الحقيقة، العدالة، المحبة والحرية (السلام في الأرض، ٢٦٨ — ٢٦٩). ومن خلال الالتزام بحمل هذه القيم داخل الحياة الاجتماعية، على الصعيدين الوطني والدولي، ازداد إدراك الرجال والنساء بأهمية علاقتهم مع الله، ينبوع كل خير، أساس متين ومقياس أسمى لحياتهم كأفراد وكائنات في المجتمع. كان اقتناع البابا عميقا بأن لهذه الحساسية الروحية المرهفة تأثيرات على الحياة العامة والسياسية.

أمام تنامي الوعي حيال الحقوق الإنسانية على المستويين الإقليمي والدولي أدرك البابا يوحنا الثالث والعشرون الطاقة الكامنة في هذه الظاهرة وقدرتها على تغيير مجرى التاريخ. وجاءت أحداث السنوات اللاحقة وبخاصة في أوروبا الوسطى والشرقية إثباتا لهذا الواقع. أشار البابا في رسالته إلى أن طريق السلام يمر عبر الدفاع عن الحقوق الإنسانية الأساسية وتعزيزها وأن كل شخص بشري يتمتع بهذه الحقوق، لا كخير ينبع من انتماء إلى طبقة اجتماعية معينة أو فئة سياسية، إنما كحق أساسي. "لا بد في كل تعايش نظامي ومثمر أن يحتل مركزا أساسيا مبدأ كون كل كائن بشري شخصا أي طبيعة ذات ذكاء وإرادة حرة؛ وبالتالي

فهو يخضع لحقوق وواجبات تنبثق بشكل متزامن من طبيعته الذاتية:  
حقوق وواجبات لا تمس ولها طابع جامعي" (السلام في الأرض، ٢٥٩).  
لم تكن أفكارا وهمية بل أعطت نتائج عملية كما برهن التاريخ في  
ما بعد. وانطلاقا من الاقتناع بأن كل كائن بشري متساو في الكرامة،  
وبالتالي لا بد للمجتمع أن يكيف هيكلته مع هذا الواقع، نمت حركات  
من أجل الحقوق الإنسانية أعطت تعابير سياسية لإحدى أكبر مكونات  
التاريخ المعاصر وأضحى إنماء الحرية عاملا أساسيا في الالتزام من أجل  
السلام. اتسعت رقعة هذه الحركات في مختلف أنحاء العالم فساهمت في  
قلب أنظمة دكتاتورية لتحل محلها أنظمة أكثر ديمقراطية. لقد برهنت هذه  
الحركات عمليا أن السلام والرقي يتحققان من خلال احترام النظام  
الأدبي الشامل المكتوب في قلب الإنسان (خطاب البابا يوحنا بولس الثاني  
في الجمعية العمومية الخمسين لمنظمة الأمم المتحدة، ٥ أكتوبر ١٩٩٥،  
رقم ٣).

### الخير المشترك الجامعي

٥. لقد بدت الرسالة العامة "السلام في الأرض" نبوية في ما يتعلق  
بمسألة أخرى من خلال استعراض المرحلة اللاحقة لتطور السياسات  
العالمية. أمام عالم راح يميل أكثر فأكثر إلى الترابطية والشمولية اقترح البابا  
يوحنا الثالث والعشرون أن يرافق مفهوم الخير المشترك أفق عالمي مما يعني  
"الخير المشترك الجامعي" (السلام في الأرض، ٢٩٢). وما لبث هذا التطور  
أن استدعى قيام سلطة عامة على مستوى دولي قادرة على إنماء هذا الخير

المشترك الجامعي. لكن هذه السلطة، أضاف البابا، لا تقوم بشكلٍ قسري إنما من خلال إجماع الأمم "بهدف الإقرار بحقوق الشخص واحترامها وحمايتها وتعزيزها" (السلام في الأرض، ٢٩٤).

لا يستغربن أحد إذا تطلع البابا يوحنا الثالث والعشرون برجاء كبير إلى منظمة الأمم المتحدة التي تأسست في ٢٦ يونيو ١٩٤٥. لقد رأى فيها أداة قادرة على الحفاظ على السلام في العالم وتدعيمه. ولهذا بالذات عبر عن تقديره الخاص للإعلان العالمي لحقوق الإنسان لعام ١٩٤٨ واعتبره "خطوة هامة في مسيرة المنظمة نحو التنظيم القضائي — السياسي للجماعة العالمية" (السلام في الأرض، ٢٩٥). حدد هذا الإعلان القواعد الأدبية لبناء عالم يميزه النظام بدل الفوضى والحوار بدل القوة. في هذه النظرة استدرك البابا أن الدفاع عن الحقوق الإنسانية من قبل منظمة الأمم المتحدة شرط لا غنى عنه لإنماء طاقة المنظمة عينها في تعزيز الأمن الدولي وحمايته.

لكن الرؤى المستقبلية للبابا يوحنا الثالث والعشرين أي التطلع نحو سلطة عامة دولية في خدمة الحقوق الإنسانية والحرية والسلام لم تتحقق بكاملها لا بل حصل وللأسف تردد من قبل الجماعة الدولية في واجب احترام الحقوق الإنسانية وتطبيقها. إنه واجب يشمل جميع الحقوق الأساسية ولا يسمح بخيارات اعتباطية تقود إلى نشأة أشكال تمييز وظلم. وفي الوقت نفسه يزداد اتساع الهوة بين مجموعة من الحقوق "الجديدة" نمت في المجتمعات المتطورة من الناحية التكنولوجية والحقوق الإنسانية الأساسية التي غالبا ما تداس وبخاصة في أوضاع التخلف: أفكر، على

سبيل المثال، بالحق في الغذاء ومياه الشفة والمسكن وتقرير المصير والاستقلال. إن السلام يقتضي تضييق هذه الهوة وبالتالي تخطيها. ولا بد من ملاحظة أخرى. لقد أهملت الجماعة الدولية، التي لها منذ عام ١٩٤٨ شرعة لحقوق الشخص البشري، الإصرار بشكل مناسب على الواجبات المتأتية من هذه الحقوق. في الواقع، يحدد الواجب الإطار الذي يحول دون تحول الحقوق إلى ممارسة تعسفية. وإن وعيا أفضل للواجبات الإنسانية الجامعة يعود بالنفع على قضية السلام إذ يقدم لها القاعدة الأدبية للإقرار المشترك بنظام غير منوط بإرادة فرد أو فريق.

### نظام أدبي دولي جديد

٦. مع ذلك وعلى الرغم من الصعاب والتباطؤ فقد حصل تقدم كبير خلال السنوات الأربعين الأخيرة لتطبيق رؤية البابا يوحنا الثالث والعشرين النبيلة. وما شعور الدول في معظم أنحاء العالم بواجب تكريم فكرة الحقوق الإنسانية إلا دليل على قوة وسائل الإقناع الأدبي وسلامة البعد الروحي التي كان لها دور حاسم في تعبئة الضمائر في ثورة عام ١٩٨٩ السلمية أي الحدث الذي وسم انهيار الشيوعية الأوروبية. وعلى الرغم من استمرار المخاطر المحدقة بالحرية والديمقراطية والمجتمعات الحرة فما من شك أن شعوبا كثيرة في العالم أضحت حرة بعد مضي أربعين سنة على الرسالة العامة "السلام في الأرض" وتقوت هيكلية الحوار والتعاون بين الأمم وتقلص خطر حرب نووية شاملة فرض نفسه في عهد البابا يوحنا الثالث والعشرين.

في هذا الصدد، وبجراً متواضعة، أريد الإشارة إلى أن التعاليم الألفية للكنيسة حول السلام "كطمأنينة النظام"، حسب تعبير القديس أغسطينوس (مدينة الله رقم ١٩، ١٣)، بدت في ضوء تعاليم الرسالة العامة "السلام في الأرض" شديدة الأهمية بالنسبة للعالم المعاصر أكان لقادة الأمم أم للمواطنين. ويتفق الجميع بسهولة على وجود فوضى كبيرة في أوضاع العالم المعاصر ولهذا فإن التساؤل الذي يطرح نفسه هو التالي: أي نظام قادر على أن يحل محل الفوضى لإعطاء الرجال والنساء فرصة العيش بحرية وعدالة وأمن؟ وبما أن العالم، وإن في فوضاه، يسعى إلى "تنظيم" ذاته في مجالات عديدة (اقتصادية، ثقافية وسياسية) ينطلق تساؤل آخر: على أي مبادئ يستند نمو هذه الأشكال الجديدة للنظام العالمي؟

تدل هذه التساؤلات ذات الإشعاع الواسع على أن مشكلة النظام في الشؤون العالمية، وهي معضلة السلام المفهوم بشكل سليم، لا تنفصل عن مسائل منوطة بالمبادئ الأدبية. وبمعنى آخر يبرز من هذه الزاوية وعي بأن مسألة السلام لا يمكن فصلها عن مسألة الكرامة والحقوق الإنسانية. وهي إحدى الحقائق التي تضمنتها الرسالة العامة "السلام في الأرض" ويحسن علينا أن نتذكرها ونتأمل بها في هذه الذكرى الأربعين.

أليس هو زمن تعاون الجميع من أجل بناء تنظيم جديد للأسرة البشرية كلها لضمان السلام والانسجام بين الشعوب وتعزيز رقيها الكامل؟ من الأهمية بمكان تحاشي سوء التفاهم: لا نريد هنا التلميح بإقامة دولة كبيرة شاملة إنما نرغب بالتأكيد على ضرورة تعجيل المسارات القائمة للتجاوب مع التساؤل الجامعي حول وسائل ديمقراطية في ممارسة

السلطة السياسية، الوطنية والدولية على السواء، وكذلك أيضا مع المطالب بالشفافية والمصداقية على مختلف مستويات الحياة العامة. لقد شاء البابا يوحنا الثالث والعشرون، تغذيه ثقة بطيبة قلب كل شخص، دعوة العالم كله إلى رؤية أكثر نبلا للحياة العامة وممارسة السلطة فدفح بجرأة بالعالم للتطلع أبعد من حالة الفوضى الحاضرة وتصور أشكال نظام دولي جديدة تتلاءم مع الكرامة البشرية.

### الصلة بين السلام والحقيقة

٧. لقد عارض البابا يوحنا الثالث والعشرون، من خلال الرسالة العامة "السلام في الأرض"، رؤية الذين فكروا بتعرية السياسة من نواحيها الأدبية وإخضاعها لمعيار المصلحة ورسم صورة للبشرية أكثر واقعية مشيرا إلى الدرب نحو مستقبل أفضل للجميع. وبما أن الأشخاص خلقوا ولديهم القدرة على إعداد خيارات أدبية فلا مكان لأي نشاط بشري خارج إطار القيم الأدبية. السياسة عمل بشري ولهذا فهي تخضع للحكم الأدبي. ويصح هذا في مجال السياسة الدولية. كتب البابا: "النظام الطبيعي للعلاقات بين الكائنات البشرية ينظم الجماعات السياسية أيضا" (السلام في الأرض، ٢٧٩). إن من يعتقد أن الحياة العامة الدولية تجري بطريقة ما خارج الحكم الأدبي عليه أن يتأمل بتأثير الحركات من أجل الحقوق الإنسانية على السياسات الوطنية والدولية للقرن العشرين الذي انتهى منذ قليل. إن هذه التطورات التي واكبتها تعاليم الرسالة العامة تدحض بحزم الادعاء بأن

السياسات الدولية تدخل في فضاء "منطقة حرة" لا سلطة فيها للنظام الأدي.

ربما ليس هناك من مكان آخر نشعر فيه بوضوح مماثل بالحاجة إلى استخدام سليم للسلطة السياسية مثلما هو الوضع المأسوي في منطقة الشرق الأوسط وفي الأرض المقدسة. يوماً بعد يوم، سنة بعد سنة، حال تأثير رفض متبادل ويائس وموجة لا نهاية لها من العنف والانتقام من إمكانية إطلاق حوار جدي بشأن المسائل الواقعية. وزاد من رقة الحال تصارع المصالح بين أعضاء الجماعة الدولية. وطالما يتردد من في أيديهم المسؤولية في إعادة النظر بإدارة السلطة وتحقيق البحوث لشعوبهم سيكون من الصعب التقدم على درب السلام. إن الصراع الأخوي الذي يهز كل يوم الأرض المقدسة عبر التضارب بين القوى التي تنسج مستقبل الشرق الأوسط يطرح ضرورة اقتناع الرجال والنساء بسياسة تركز على احترام كرامة الشخص وحقوقه وتعود بالنفع على الجميع بدل استمرار حالات النزاع. لا بد من الانطلاق من هذه الحقيقة التي تحرر من القيود أكثر من أشكال الدعاية وبخاصة عندما تعمل هذه الأخيرة على إخفاء نوايا مخزية.

### مقومات سلام مستديم

٨. هناك صلة عميقة بين الالتزام من أجل السلام واحترام الحرية. فالصدق في الإعلام والمساواة في الأنظمة القضائية والشفافية في الإجراءات الديمقراطية تعطي المواطنين شعوراً بالأمن وقدرة على تسوية الخلافات بوسائل سلمية وإرادة في التفاهم السليم والبناء مما يشكل

مقومات سلام مستديم. وإن اللقاءات السياسية على المستويين الوطني والدولي تخدم قضية السلام إذا ما احترمت الأطراف التزاماتها وإلا فإنها تفقد من أهميتها وتمسي عديمة النفع مما يحمل الناس على تقليص الاقتناع بفائدة الحوار وبالتالي على التطلع إلى استخدام القوة كسبيل لحل الخلافات. ولا بد للانعكاسات السلبية وليدة الالتزامات الموضوعية وغير المحترمة أن تقود قادة الدول والحكومات إلى التفكير مليا وبروح المسؤولية بكل القرارات.

إن التقيد بالالتزامات يقتضي بالضرورة توجيه الاهتمام نحو الفقراء لأن نقصا في هذا الاتجاه سيزيد من شعورهم بالحرمان. كذلك الأمر بالنسبة إلى التعهدات تجاه الأمم النامية حيث التردد في تنفيذ الوعود يطرح مسألة أدبية جدية ويبرز عدم المساواة والظلم في العالم. إن غياب الثقة يزيد الألم الذي يسببه الفقر مما يؤدي في نهاية المطاف إلى فقدان الأمل. وليس حضور الثقة في العلاقات الدولية إلا ثروة ذات قيمة جوهرية.

### ثقافة سلام

٩. بالنظر إلى عمق الأمور نرى أن السلام ليس مسألة هيكلية بقدر ما هو قضية أشخاص. ومن الأهمية بمكان أن تتقوى بني السلام ومفاعيله القضائية، السياسية والاقتصادية التي هي ثمرة حكمة وخبرة تراكمت خلال التاريخ من خلال مبادرات سلام عديدة على يد رجال ونساء وضعوا نصب أعينهم الرجاء دون فقدان العزيمة. مبادرات سلام تولد من

حياة أشخاص يتغذون من تصرفات سلام مستمرة. إنهم ثمرة عقل وقلب  
"صانعي السلام" (متى ٩،٥). وتقوم مبادرات السلام هذه عندما يعي  
الناس البعد الجماعي للحياة وبالتالي معنى وتأثير بعض الأحداث على  
الجماعة نفسها والعالم كله. مبادرات سلام تكون منطلقا لتقليد وثقافة  
سلام.

للدين دور حاسم في بعث مبادرات سلام وتدعيم شروط السلام  
وذلك من خلال الانفتاح على الله ونشر التآخي الجامعي وتعزيز ثقافة  
تضامن. إن "يوم الصلاة من أجل السلام" الذي انعقد في أسيزي في ٢٤  
يناير ٢٠٠٢ بمشاركة ممثلي مختلف الديانات وضع أمامه هذا الهدف إذ  
شاء التعبير عن الرغبة في التربية على السلام من خلال نشر الأبعاد  
الروحية وثقافة سلام.

### إرث "السلام في الأرض"

١٠. لم يكن البابا الطوباوي يوحنا الثالث والعشرون يخشى  
المستقبل وذلك بفضل تصرفه المتفائل المشبع بالاتكال على الرب  
والإنسان والنابع من أجواء الإيمان التي ترعرع فيها. وبدافع تمسكه بالعناية  
الإلهية لم يتردد، حتى في ظروف صعبة، في اقتراح رؤى جديدة للعالم على  
قادة أزمته. هذا هو الإرث الذي تركه لنا. إننا مدعوون، في ما ننظر إليه  
في يوم السلام العالمي ٢٠٠٣، إلى التحلي بالمشاعر التي غذته أي الثقة  
بالله الرحمن الرحيم الذي يدعونا إلى التآخي والثقة برجال ونساء عصرنا

والأزمة الماضية بدافع صورة الله المطبوعة في قلب الجميع. انطلاقاً من هذه المشاعر يزداد الأمل ببناء عالم يسوده السلام.

الأممية في مطلع سنة جديدة من تاريخ البشرية أن تنبت في قلب الجميع وثبة انضمام متجدد مع المهمة النبيلة التي اقترحتها لأربعين سنة خلت الرسالة العامة "السلام في الأرض" على جميع الرجال والنساء ذوي الإرادة الطيبة. ولقد رمت المهمة التي قالت عنها الرسالة "فائقة الحد" إلى "إعادة تركيب علاقات التعايش بين الكائنات البشرية الأفراد؛ بين المواطنين وجماعاتهم السياسية؛ بين الجماعات السياسية نفسها؛ بين الأفراد والعائلات والجماعات السياسية من جهة والجماعة الدولية من جهة أخرى". انتهت الرسالة بالتأكيد على أن الالتزام في "تحقيق السلام الحق ضمن تصميم الله" يشكل "رسالة نبيلة" (السلام في الأرض، رقم ٣٠١ — ٣٠٢).

إن الذكرى الأربعين للرسالة العامة "السلام في الأرض" فرصة ملائمة لاختبار تعاليم البابا يوحنا الثالث والعشرين النبوية. وسوف تهتم الجماعات الكنسية بالإعداد للاحتفال بهذه الذكرى بالشكل المناسب خلال السنة من خلال مبادرات ذات طابع مسكوني وديني والانفتاح على جميع الراغبين في "تخطي الحواجز وتقوية روابط المحبة المتبادلة وفهم الآخرين ومسامحة الذين أساءوا إلينا" (السلام في الأرض، رقم ٣٠٤).

أرفق هذه الأممية بالصلاة إلى الرب الكلي القدرة ينبوع كل خير. فليساعد الله، الذي ينتشلنا من أوضاع الاضطهاد والتراعات إلى الحرية والعمل لتحقيق خير الجميع، الأشخاص في كل أرجاء العالم على بناء عالم

يسوده السلام ويستند على الركائز الأربع التي أشار إليها الطوباوي يوحنا الثالث والعشرون في رسالته العامة التاريخية أي: الحقيقة، العدالة، المحبة والحرية.

عن الفاتيكان ٨ ديسمبر ٢٠٠٣

البابا يوحنا بولس الثاني

*Joannes Paulus P.P. II*